النص الرقمي بين الإنتاج والتلقي، قراءة في التشكيل الجمالي والدلالي

د. علي بن أحمد زعلة

تقديم:

في بحثه الدائم عن الانتشار والوصول إلى القارئ، يجهَدُ المبدع في تنويع سبل الانتشار والحضور على سطح المشهد الإبداعي بشكل عام، متتبعا كافة الوسائل والقنوات التي تمكنه من تحقيق غايته الأساس وهي وصول منجزه الإبداعي إلى يد المتلقي الذي يعلي من شأن المنتج الأدبي ويحقق انتشاره ويتحول – حال إعجابه به – إلى داعية ومروّج له بين أقرانه ومحيطه من المهتمين بهذا الفن الأدبي أو ذاك.

ومع ظهور وسائل التقنية الحديثة، اتجه الأدباء إلى استخدامها وسيطا لنقل نتاجهم الأدبي وإشهاره عبر قنواتها إلى مستخدميها الآخذين في الازدياد يوما بعد يوم، وبخاصة بعد أن تمكنت التقنية من حياة الناس، وأحكمت قبضتها على ممارساتهم وعاداتهم اليومية التي لم تعد تستقيم دون مساندة من وسائل التقنية وأجهزتها وتطبيقاتها المتطورة بشكل متسارع.

ولعل من نافلة القول إن علاقة التقنية بالأدب اتخذت في برِاياتها هذا النمط التسويقي، بما وفرته التقنية من وسائل انتشار سهلة وميسورة للجميع، عمد إزاءها الأدباء إلى نشر نصوصهم الأدبية عبر مختلف الوسائل التقنية الحديثة، بدءا بالمنتديات والمواقع الأدبية، ثم المواقع الشخصية الخاصة، ومع صعود مواقع التواصل الاجتماعي وقوة حضورها لدى مستخدمي الإنترنت، اتجه معظم الأدباء إلى فتح حسابات لهم ونشر نتاجهم الأدبي ومشاركته مع القراء والأصدقاء عبر تلك الحسابات، وبخاصة في فيس بوك وتويتر. كما اتجهت طائفة كبيرة من المبدعين إلى إنشاء مدونات خاصة بهم ينشرون فيها نتاجهم، وما يريدون من مواد شخصية أو ثقافية أو ما سوى ذلك.

إذا نظرنا إلى المحتوى الأدبي المنشور عبر وسائط التقنية الحديثة في بداية ظهورها، وجدنا أنه نسخة إلكترونية من ذلك النتاج الأدبي الورقي، أي المكتوب أساسا أو المنشور مسبقا عبر كتاب أو صحيفة أو مجلة، أي أنه أدب وجد في التقنية وقنواتها وعاء جديدا للنشر والتسويق، دون أن يكون للتقنية أي تأثير في عملية صناعة هذا الأدب وكينونته، ودون أن يكون للأدب أدنى استجابة للتقنية على مستوى البنية الفنية أو القيم الجمالية أو الدلالية.

وهذا النوع من العلاقة التسويقية بين الأدب والتقنية غير مقصود بدراستنا هذه، وهو مستبعد تماما من نظر هذه الورقة؛ ذلك أنه لا يؤثر في التقنية ولا يتأثر بها، بل هو باق على كينونته التي أنتِج عليها أول مرة من قِبل المبدع، بعيدا عن التقنية وتدخلاتها أو تأثيراتها.

تنظر هذه الورقة في النص الأدبي الرقميّ؛ أي ذلك النص الذي تشكّل في خلقته الأولى في محاضن التقنية الحديثة وأوعيتها، متأثرا بتقنيتها وتطبيقاتها وقيمها في الكتابة والإنتاج، لنجد أنفسنا إزاء نص رقمي تقوم التقنية حياله بوصفها وعاءً ووعياً، يتجاوز دوره مهمة استيعاب النص وتقديمه للمتلقي، إلى التأثير في مجمل العملية الإبداعية، من بدئها إلى لا نهايتها، تأثيرا يبدأ في وعي المبدع ومنطلقاته وشعوره، مرورا بإعادة تشكيل أدواته وصياغة خطابه الأدبي بصفة عامة، ودمغ الأثر/ النص الأدبي بتأثيرات التقنية في لغة النص ومجازاته وصوره ودلالاته وموضوعاته وقضاياه ومعالجاته على مختلف المستويات، ولا تقف تأثيرات التقنية في النص الرقمي عند هذا الحدّ، إنما تتجاوزه إلى التأثير في

عملية تلقي ذلك النص، والعملية التفاعلية التي يتشكل من خلالها التلقي، متيحا للمتلقي مساحة كافية للمشاركة في بناء النص وإعادة إنتاجه من جديد، من خلال التفاعل المباشر مع النص وكاتبه الأصلي.

تحاول هذه الورقة أن تستقرئ ما نسميه بالنص الرقمي، من خلال تلمّس تأثيرات التقنية في عملية إنتاج النص، والمراحل التي تمر بها عملية خلْق النص وإبداعه، كما تنظر الورقة في التأثيرات الفنية والجمالية والموضوعية التي تسقطها التقنية على النص المتخلّق في رحمها، وكيف استطاعت التقنية أن تضع بصمتها الواضحة على القيم الدلالية والجمالية للنص، وما القضايا التي تميز النص الرقمي بطرحها ومعالجتها؟ وطبيعة تلك المعالجة ومستوى جرأتها، ثم نختم الورقة بالنظر في عملية التلقي التي ربما تشكّل التمايز الأكبر والأوضح بين النص الرقمي ونظيره التقليدي. وما يلقيه التلقي الرقمي من أثر بيّن في النص وكاتبه.١

النص الرقمي: إشكالية المصطلح والمفهوم:

ظهرت مصطلحات عربية عديدة لترجمة مصطلحات عديدة أخرى في اللغات الأجنبية لهذا النص الجديد الذي نتحدث عنه في ورقتنا هذه؛ حيث لم يتفق الغرب على تسمية موحدة له، فقد حملت الأدبيات الغربية المعاصرة تسميات واصطلاحات متعددة لهذا النص الأدبي الذي يمثل مرحلة بعد ما بعد الحداثة كما يقول بعض الباحثين المهتمين به.٢

وعلى إثر تعدد المصطلحات الأجنبية لهذا النص الجديد والأدب الجديد تعددت الترجمات العربية، وقد انقسمت منطلقات تلك التسميات إلى قسمين؛ فهناك "من ينطلق من الوسيط لتعيين خصوصية هذا النص، وبالانطلاق من هذا الوسيط الذي هو الحاسوب ، يوسم هذا النص تارة بالإلكتروني "، وطورا بالرقمي . إن هذين الاستعمالين يوظفان كمقابل لـ Eléctronique ، و Digital أو Numérique في اللغتين الفرنسية والإنجليزية، وهما معا يشيان بالارتباط الوثيق بين النص والوسيط أو الجهاز الذي يتم من خلاله التعامل مع النص إنتاجا وتلقيا . ولقد تعدى هذا الاستعمال مفهوم النص ليتصل أيضا بالأدب، فنجد الحديث مرة عن الأدب الإلكتروني أو عن الأدب الرقمي. إن ربط النص أو الأدب بالوسيط فقط لا يدل دلالة حقيقية على طبيعة هذا النص الجديد"٣

يذكر الدارسون أن تيد نيلسون هو أول من استخدم مصطلح (النص المترابط) عام ١٩٦٥م ٤ لكن المفهوم الدقيق لا يزال قيد التشكل حتى الآن، إذ لا يوجد تعريف ناجز ولا تسمية واحدة لذلك الأدب الجديد المرتبط بالتقنية في كل صوره وأشكاله، وكي لا نطيل في سرد التسميات الأجنبية والمفهومات وترجماتها، فإننا نستعير – مع بعض التحفظ - تعريفا أو مفهوما صاغه فيليب بوتز بقوله "نسمي أدبا رقميا كل شكل سردي أو شعري يستعمل الجهاز المعلوماتي وسيطا ويوظف واحدة أو أكثر من خصائص هذا الوسيط" ٥. ومثار تحفظنا؛ هو أن ما صاغه بوتز هنا يحصر علاقة النص الرقمي بالتقنية في دور الوسيط الناقل للنص وحسب، ويغفل دور التقنية التي تشكل عبرها النص، وتأثيرها في إنتاج النص وتلقيه ومستوياته الفنية والدلالية.

نخلص من ذلك إلى أن أي صياغة لمفهوم النص الرقمي، يجب أن تحيط في مرتكزاتها على تقديم النص الرقمي بوصفه نوعا من الأدب الجديد المتخلق في رحم التقنية وأجهزتها، متأثرا بقيمها الجديدة في موضوعاته ولغته وتقنياته الفنية وغاياته الخطابية، متخذا من التقنية أداة من أدوات الإنتاج والتلقي والتفاعل والتغذية الراجعة على حد سواء.

سمي هذا الأدب بتسميات متعددة، وتعددت مقابلاتها العربية، مثل : الأدب الرقمي، الأدب الإلكتروني، النص المترابط، النص المتشعب، النص الساييبري...إلخ) ولن نشتغل في ورقتنا الموجزة هذه بنقاش التسميات والمفاهيم، بل سنحاول تركيز النظر في المادة النصية التي يقدمها هذا الأدب، من الجوانب التي ذكرناها سابقا.

إنتاج النص :

التقنية حين ظهرت في عالمنا الحديث واكتسحت حياة الناس، لم يقتصر ظهورها ذاك على كونها تطويرا في الوسائل وتحديثا في أنماط التواصل والنشر وتسريع حركة الحياة فحسب، وإنما شكلت وجودَها وفرضت فلسفتها ومبادئها وقيمها ما بعد الحداثية على البشر، أثرت في صياغة وعي وجودي جديد، وخطاب ثقافي مستقل تماما عن كل ما سبقه من أفكار، تمثل القطيعةُ مع الأسلاف – من البشر والأفكار والوسائط- قيمةً أساسية في رؤيته ومنطلقاته وغاياته.

وبناء على ذلك نرى أن أي نظر،

إلى المنتج الثقافي التقني، يستبعد هذه الاعتبارات فهو نظر سطحي وتعامل ساذج، لن يقودنا سوى إلى مخرجات سطحية ونتائج غير ناضجة ولا معمقة.

إن الكاتب الذي يبدع نصه مستخدما لوحة المفاتيح في الحاسب الآلي، أو هاتفه المحمول، أو شاشة اللمس في جهازه اللوحي، هو شخص آخر تماما غير ذلك الذي يستخدم القلم والورقة في إنتاج النص. ليس على مستوى الأدوات والوسائل فحسب، إنما في نمط الحياة والوعي بالوجود والذات، وطريقة التفكير والنظر إلى الكون والثقافة وكافة القيم الوجودية الأخرى. نستطيع توصيفه بأنه كائن رقمي، أو مبدع رقمي، تغذى على التقنية الرقمية، وتشكل وجدانه وفكره في إطارها وصاغ منجزه الإبداعي بلغتها وصبغتها.

ومن ناحية أخرى فإن الكاتب حين يكتب نصه عبر وسائط التقنية، فهو يتأثر بتلك الوسائط وتقنياتها تأثرا شاملا، فهو لا يكتب مثل أسلافه مستخدما الأقلام والأوراق، بل يستخدم مفاتيح على الكيبورد أو عبر شاشة تستجيب للمس، والفضاء الأبيض أمامه قابل للكتابة والمحو بشكل أسرع وأسهل، فحين يمحو لن يجد أثرا لما كتبه سابقا وسيكتب تعديله على بياض جديد نظيف تماما، وانشغاله بمطاردة مفاتيح الحروف عبر لوحة المفاتيح سيلتهم قطعا نسبة من تركيزه وانغماسه في اللحظة الشعورية والفكرية التي يحاول كتابتها. وهكذا نجد أن كتابة النصوص عبر وسيلة تقنية تختلف تماما فيما توفره أو تسلبه من خصائص عن الورقة والقلم.

حاول ولفريد هانسن وكريستيان هاس تلمّس الفروق بين القراءة والكتابة على الحاسب والقراءة والكتابة على الورق، وحددا سبعة عوامل لها تأثير على قوي على عمليتي القراءة والكتابة بواسطة الحاسوب، وهي : حجم الصفحة، الوضوح، الاستجابة، قابلية اللمس، الإحساس بالمباشرة، الإحساس بالارتباط، الإحساس بالنص. ٦ وتأثيرات هذه العوامل مشتركة بين الكاتب والقارئ معا. فهما يتبادلان المواقع بصورة طبيعية، إذ إن الكاتب يتحول قارئا حين يفرغ من كتابة مسودته الأولى ويبدأ في مراجعتها وتعديلها، والقارئ يتحول بعد فراغه من قراءة النص إلى كاتب يسطر رأيه وتعليقه على ما قرأ من خلال موقع الكاتب أو مدونته أو صفحته عبر مواقع التواصل الاجتماعي.

وبما أن وسائل التقنية الرقمية أصبحت مرتبطة ارتباطا شبه كامل بشبكة الإنترنت، وأصبحت هذه الشبكة مسيطرة عليها تقنيا ومعلوماتيا، فإن الإنترنت أصبح –والحال هذه- مصدرا من مصادر الكتابة، ومكوّنا أساسا في عملية إنتاج النصوص وإبداعها، يعتمد عليه الجيل الجديد من الكتاب الرقميين في كثير من شؤونهم في الكتابة والتأليف، اعتمادا يتجاوز مجرد كونه مصدرا سريعا وميسورا للمعلومات بصورة أكثر سهولة ويسرا، إلى ما يشبه تشكيل ورش عمل وحلقات نقاش نقدية حول تجارب المبدعين، تطرح من خلالها نصائح وتوجيهات تخص الكتابة، وتتم عبر تلك المجموعات الإلكترونية مشاركة النتاج وتبادل الآراء حوله، وكذلك تنشأ منها نصوص أدبية مشتركة بين كاتبين أو أكثر، كما أن المراسلات والمحادثات الإلكترونية قد تشكل في بعض الأحيان نصوصا أدبية قابلة للنشر والتداول ٧، تماما كما نشرت في كتب مطبوعة مراسلات بعض كبار الكتاب التقليدين قديما وحديثا.

ولا يقتصر تأثير الإنترنت على إنتاج النصوص فحسب، بل إنه يسهم في ظهور كتّاب جدد لم يمارسوا الكتابة قبلا، وذلك لما تحفل به مواقع الإنترنت من نقاشات وتجاذبات متنوعة، تثري الثقافة، وما توفره من الفضاء المناسب الجاذب والمحفز لشريحة من مستخدميه على البوح وتسطير أفكارهم وانفعالاتهم وخواطرهم عبر المدونات الشخصية وعبر الحسابات الخاصة على مواقع الشبكات الاجتماعية (فيس بوك وتويتر) (الأسماء المستعارة) التي تحفز مستخدميها دوما بأسئلة من مثل: "ما ذا يخطر ببالك الآن؟ كيف كان نهارك؟ ما الذي يجري الآن؟ " هذه الأسئلة اليومية وتلك المدونات الجذابة بإمكاناتها التي تستوعب كثيرا من الفنون البصرية والسمعية، إضافة إلى التخفف من قيود قنوات النشر التقليدية وشروطها، كالصحف والمجلات، وعامل آخر مهم جدا يتمثل في إمكانية تخفي الكتاب وراء أسماء مستعار أو تعبيرية، وتفاعل المستخدمين الآخرين من حولهم، تلك العوامل المحفزة التي يوفرها الإنترنت لمستخدميه تدفع كثيرين إلى خوض مغامرة الكتابة والتعبير والتجريب والتطوير من أدواتهم الفنية وتجاربهم الكتابية، ليظهر في الأوساط الثقافية كتاب ولدوا في فضاء الإنترنت، بعيدا عن المشهد الثقافي التقليدي.

تلقي النص الرقمي:

أخذت المناهج النقدية لما بعد الحداثة

على عاتقها مهمة الإعلاء من شأن المتلقي واعتباره عنصرا مهما وفاعلا في العملية الإبداعية، واعتبار أن النص "نزهة يقوم فيها المؤلف بوضع الكلمات ليأتي القراء بالمعنى" كما يقول تودوروف.٨ والقارئ في هذه النظريات هو الذي يضطلع بعمليات تأويل النصوص وتكوين امتدادات دلالية لها، وبالتالي فهو مشارك في صناعة النص وبنائه، وقد أشبعت نظريات التلقي هذا المعنى بالتنظير والتقعيد، غير أن مشاركة القارئ في صياغة النص ظلت ذات أثر فردي ومحدود، بمعنى أن كل قارئ يشكل نصه الخاص به وفق قراءته وتأويله وأدواته الخاصة. إذ لا مجال أمامه لمشاركة رأيه مع الكاتب أو مع غيره من القراء، والتقنية ووسائطها وبخاصة تطبيقات الإنترنت ومواقعه ومدوناته هي التي وفرت المجال التطبيقي لهذه النظريات بإحداث الوسائل الكفيلة بإتاحة المجال للقارئ أن يقدم رأيه وتأويلاته وقراءاته للنصوص جنبا إلى جنب الكاتب والقراء الآخرين، ويتفاعل على نحو مباشر مع المؤلف ويؤثر في النص وكاتبه، الذي قد يقتنع بوجهة نظر أحد القراء فيعيد صياغة نصه أو جزء منه.

يطلق على الأدب الإلكتروني مصطلح "الأدب التفاعلي" وهذه التسمية متأتية من عملية التفاعل الحاصلة بين الكاتب وقرائه على مواقع التواصل الاجتماعي والمدونات والمواقع الشخصية وغيرها. وحولت القارئ من مجرد متلق أو قارئ فاعل في مستوى نظري، إلى قارئ متفاعل تفاعلا حقيقيا واقعيا وليس متخيلا ولا افتراضيا.

وفرت شبكة الإنترنت فرصا عديدة يمكن للقارئ من خلالها طرح رأيه وتعليقه مكتوبا، أو بمجرد الضغط على أيقونات الإعجاب في موقع مثل فيس بوك مثلا، أو إعادة التغريد في تويتر، في دلالة على مشاركة القارئ للكاتب في فكرته وإعجابه بنصه المنشور هنا أو هناك. وأصبحت هذه الأيقونات الصامتة مؤشرا مهما لدى القراء الجدد في الاستدلال على المواضيع المميزة والنصوص الجديرة بالقراءة، فإذا ما كثر عدد القراء في إحصائيات المواقع لنص ما، أو كثرت إشارات الإعجاب، أو أشار مثقف معروف بالإعجاب أو إعادة التغريد لنص أو لآخر، فإنه يكتسب ما يشبه الشهادة بتميزه وأحقيته بالقراءة لدى الآخرين.

إن عملية قراءة النص تخضع دائما لتغير مستمر، ولعل هذه العملية التفاعلية هي أبرز تأثيرات التقنية ووسائطها في تلقي النص الأدبي، وتعتبر ثورة حقيقية غير مسبوقة في عالم الأدب والثقافة، إذ لم يتوفر في السابق تجمّع بشري بهذه الكثافة وهذا التنوع والتعددية كما توفر في مجتمع الإنترنت هذه الأيام. وبها تحول فعل القراءة من مجرد تلقٍّ صامت أو منفرد، إلى عملية نقاش مستمر ونقد مباشر للنصوص، يفيد منها الكتاب والقراء على حد سواء.

وفي المقابل فإن عملية التلقي الإلكتروني أو الرقمي تأتي مصحوبة بعدد من العوامل والمؤثرات التي تلقي بظلالها على فعل التلقي؛ فالنصوص غالبا ما تتواجد إلى جوار عدد هائل من النوافذ الإعلانية والصور الثابتة والمتحركة والروابط المتعددة التي من شأنها التشويش على تركيز القارئ فيما يقرأه من نصوص وتشتيت انتباهه، هذه الأمور المصاحبة – غالبا – لعملية القراءة تؤدي إلى نتائج قرائية غير دقيقة أحيانا بسبب الانشغال وضعف التعمق في قراءة النص.

وفي المواقع التفاعلية يحصل أيضا أن يتأثر القارئ بما يجده أمامه من تعليقات لقراء سبقوه بتدوين آرائهم، وربما تأثر برأي ما واستجاب له بوعي أو دون وعي منه، وهنا تتحول إمكانية التفاعل من ميزة إيجابية إلى سلبية.

نقل هانسن وهاس في مقالهما السابق ٩ تباينا في نتائج الدراسات المقارنة للسرعة ودقة النتائج بين القراءة من الورق والقراءة من شاشة الحاسوب؛ حيث أظهرت دراسة موتر ١٩٨٢م أن القراءة عن طريق الورق أسرع من القراءة عن طريق شاشة الحاسوب، ولكنها أنتجت نتائج فهم متساوية إلى حد كبير. وخلصت دراسة أخرى لغولد وغريسشكوسكي ١٩٨٤م إلى أن النتائج كانت أكثر دقة على الورق وأعلى كفاءة منها على الحواسيب والشاشات.

وبالرغم من الشكوى المتزايدة لدى المثقفين اليوم من انشغال الجديد بالتقنية وبرمجياتها وقلة إقبالهم على القراءة، إلا أن الواقع يؤكد أن للتقنية أثرا واضحا في زيادة أعداد القراء بين مستخدميها، فبرامج التواصل والمحادثات المنتشرة في الهواتف الذكية وغيرها تجعل من كل شرائح مستخدمي التقنية قراء بالإجبار أو بالمصادفة، أو بطبيعة تلك البرامج القائمة على قراءة المحادثات النصية، وقراءة المنشورات المنقولة من مصادر متعددة؛ كالصحف والكتب والمأثورات والمواعظ والأخبار والقصص والحوادث وغيرها، وكل ذلك يشكل فعل قراءة بالضرورة، بصرف النظر عن المحتوى الذي يتم

تبادله عبر تلك البرامج، وعن طبيعة المواد المقروءة وأنماط القراءة ومستوياتها.

ما يهمنا هنا أن المحتوى الأدبي المشتمل على مواد أو نصوص أدبية يشكل نسبة لا بأس بها من المحتوى الرقمي المتداول عبر تلك البرامج، وانجذاب المستخدمين إلى قراءة الأدب المنشور عبرها في تزايد مستمر، والثقافة الأدبية تتصاعد بوضوح لدى مستخدمي الإنترنت، وربما يصاب المتتبع بالدهشة إذا تصفح صفحات فيس بوك وتويتر، لما يجده من أعداد هائلة من المستخدمين الذين يقدمون نصوصا أدبية من مقولهم أو منقولهم، ومن كمية الاستشهادات الأدبية المتداولة لمشاهير الأدباء والمثقفين والفلاسفة على اختلاف لغاتهم وعصورهم.

لا شك أن هذا كله يحملنا على الإيمان بتأثير التقنية الواضح في تنامي فعل القراءة والتلقي الأدبي لدى الأجيال الجديدة من مستخدمي وسائط التقنية الحديثة، ويجعلنا ندرك أننا أمام قارئ مختلف في وعيه وتلقيه وتعاطيه مع النصوص الأدبية الإلكترونية. فالإشارات النقدية التي يقدمها قراء عاديون تجاه النصوص المنشورة رقميا تحمل في كثير من الأحيان عمقا ملحوظا، وزاوية نظر جديدة تتنزل في وعي تقني جديد تماما.

غير أن عمليات التلقي التقليدية والرقمية مشوبة أحيانا بعوامل ومؤثرات طبيعية تحملها على الانحراف عن الموضوعية والحياد كما هو معروف، كالعلاقات الشخصية بين أطراف العملية الإبداعية؛ أي الكاتب والقارئ، والانتماء الوطني والجغرافي، وكذلك الانتماء الديني أو المذهبي أو الفكري، أو شهرة الكاتب وعدمها، كل تلك العوامل تؤثر في عملية التلقي لدى القارئ الرقمي، تماما كما هي مؤثرة أساسا في القارئ التقليدي، لكن أثرها يظهر رقميا من خلال خاصية التفاعل المباشرة بشكل أكثر وضوحا ومعاينة. لكن القارئ الرقمي ذي الوعي التقني والثقافي الجديد يبدو متخففا من هذه التأثيرات إلى حد كبير، فالعقلية الجديدة التي يمتلكها، والرؤية الثقافية الموضوعية لديه لا تكترث في الغالب لمثل هذه التأثيرات التقليدية المنتمية لقيم قبلية أو تحزبية هو في الأساس متنكر لها وثائر عليها، لذا نجد الموضوعية والحياد والنقد المتجرد يغلب على كثير مما يطرح عبر وسائط التقنية وبخاصة في الجانب الأدبي.

وغني عن القول إن توفر المادة الأدبية إلكترونيا أصبح أكثر يسرا وسهولة من توفرها ورقيا؛ لأن التقنية غير خاضعة لعديد الخطوات المعقدة التي يخضع لها النشر الورقي من فسح وتوزيع وتسويق وغير ذلك، بالإضافة إلى أن مجانية معظم المواد الإلكترونية أتاحت لجميع المهتمين الوصول إليها، بعيدا عن غلاء أسعار الكتب المتزايد عاما بعد عام، ولا شك أن هذا الأمر أدى إلى تثقيف القارئ الرقمي، وزيادة مخزونه الثقافي وتطوير ذائقته الفنية وأنماط التلقي لديه، مما يتجلى في مداخلاته النقدية وتعليقاته على ما يطالعه من نصوص أدبية رقمية.

وفي المجمل فإن للتقنية تأثيراتها الواضحة في عملية التلقي على المستويات كافة، وهي في الغالب تأثيرات إيجابية يرجى لها أن تنمو وتترسخ حتى تصبح سمة تستوعب أطر التلقي وأنماطه وأدواته.

القيم الفنية والموضوعية:

يؤكد كثير من الباحثين على أن الأدب لا يختلف في منطلقاته وطبيعته الجمالية مهما تعددت وسائل إنتاجه أو تلقيه، ومهما اختلفت السياقات التي يطرح عبرها. وهذا المعنى صحيح في أساسه، لكن التطور والتحول من سمات الفنون والآداب، فالزمان والمكان والبيئة الجغرافية والسياسية والاجتماعية طبعت الآداب العالمية بطوابعها، وجعلت لكل أدب لغته وأساليبه وأجناسه وسماته الفنية وقيمه الموضوعية، وقد تحول النص من المشافهة إلى التدوين والكتابة، وصولا إلى ظهور النص الرقمي في السنوات الأخيرة الذي حمل سمات تميزه قليلا أو كثيرا عن الأدب التقليدي، ولعلنا نحاول أن نتلمس بعض السمات التي يستقل بها النص الرقمي فنيا وموضوعيا، والتي امتد أثرها إلى النصوص الورقية في بعض الأحيان..

النص الإلكتروني وثيق الصلة بالفن الرقمي الحديث؛ ويغلب على النص الرقمي الإفادة من التقنيات السمعية والبصرية، وذلك من خلال توظيفها في النص، لتصبح تلك التقنيات السمعية والبصرية من العناصر الأساسية في النص، حيث تقوم إلى جانب العناصر التقليدية الأخرى بتشكيل النص وبنائه، وأداء أدوار فاعلة على المستوى الفني والدلالي، إذ لا يكتمل النص الرقمي حينها إلا بأداءات الصور البصرية والخلفيات والمؤثرات والجرافيكس والموسيقا والإيقاعات والروابط المتشعبة... وغيرها من التقنيات الرقمية. ولعل تجربة الشاعر محمد حبيبي في أعماله الشعرية المرئية تقدم أنموذجا واضحا على توظيف التقنيات البصرية

والصورة الثابتة والمتحركة والموسيقا والحركة في النص الشعري.١٠

النص الرقمي نص متحرر من حيادية النص ونوعه ومن الأجناسية والأبستمولوجيا، متجاوز لما سمي بالنص المفتوح أو مقولة الكتابة عبر النوعية، فهو شعر خالص أو سرد خالص أحيانا، وهو غالبا نص متداخل مع هذا وذاك، يتذرع بتقنيات الشعر والقص والمسرح في آن واحد، فالكاتب غير مهموم بحدود الأنواع ولا الأجناس حين ينشئ نصه، بل ربما أنه لا يمتلك معرفة كافية بها في الأساس، كما أن القارئ الرقمي أيضا لم يعد حاد النظرة في هذا الخصوص، لم يعد مهموما بتجنيس النصوص ولا عزوها إلى جنس معين مترسخ في الأدب التقليدي ذي الفنون الناجزة والأجناس التامة، فهو متقبّل في داخله للفكرة والدلالة والجمالية عبر النص بعيدا عن نسبته إلى جنس أو إلى آخر.

اللغة في النص الرقمي لم تعد تلك اللغة المعروفة المكونة من حروف ومفردات وتراكيب، بل صارت لغة النص هي مزيجٌ كل ما يتضمنه من لغة مكتوبة ومسموعة ومصورة ومرسومة ثابتة كانت أو متحركة، ولكننا إذا نظرنا إلى اللغة المجردة في النص الرقمي، وجدناها لغة سهلة جاذبة ومكثفة، تتناصّ مع التقنيات السمعية والبصرية وتتضافر معها لتكمل بناء النص وصياغة خطابه.

عدد من تقنيات وبرامج الإنترنت تعزز خاصية التكثيف اللغوي في النصوص الرقمية، فمثلا موقع تويتر لا يسمح بكتابة أكثر من مئة وأربعين حرفا للنص الواحد (تغريدة) وعبره نشأت كثير من النصوص المكثفة، وبخاصة القصص القصيرة جدا. كما هو الوسم الذي يقوده الروائي عبده خال وآخرون على تويتر، والمسابقة التي أقامها نادي الرياض الأدبي مؤخرا في القصة القصيرة جدا على موقع تويتر.١١

لقد تأثرت النصوص الأدبية قديما وحديثا بعوامل بيئية ولغوية واجتماعية وثقافية فاستوعبت مجازات وأساليب في القول وقوالب فنية جديدة بسبب تلك التأثيرات.. نجدها الآن وتحت تأثير التقنية توظف وتستوعب مفردات جديدة قادمة من الحقول اللغوية الرقمية وتأثيراتها المتشعبة. وتحضر المفردات والتعبيرات والمصطلحات الإلكترونية في النص الرقمي بشكل واضح، إن في عنوانات النصوص أو في متونها، وليس ذلك محصورا في النص الرقمي فحسب، بل إن حضورها يتجلى في نصوص ورقية مطبوعة، أفادت من بعض المواد الرقمية في اللغة والعنوانات والبناء أيضا، مثل ديوان (يجلس عاريا أمام سكايب)١٢ ورواية (بنات الرياض)١٣.

أما في ما يتعلق بموضوعات الأدب الرقمي، فالملحوظ أن الجرأة من أبرز مميزات النص الرقمي؛ إذ يرتفع سقف الحرية في طرح الأفكار ومعالجة القضايا، ويغلب على موضوعات النصوص الرقمية أن تعالج القضايا الحقوقية الفردية والجمعية، وطرح الهموم الاجتماعية والقضايا السياسية، وتناولها من زاوية حادة ومستقلة في الغالب، يترسخ في خطابها الوعي المناسب بتعدد مساحة التلقي وارتفاع سقف الحرية الأكثر تسامحا مع الأدب الرقمي منه مع الأدب التقليدي.

خاتمة:

لن نستطيع في ورقة كهذه أن نعالج كافة القضايا التي يثيرها النص الرقمي على مستوى المفهوم والمصطلح والتقنيات الفنية والسمات الجمالية والموضوعية وعمليات الإنتاج والتلقي، ولكننا اكتفينا بإشارات جهدنا أن تكون شاملة قدر الوسع، مع إيماننا التام بأن هذا النوع الجديد من الأدب لم يحظَ إلى الآن بدراسات كافية تقاربه وتضيء مسيره ونماذجه وأعماله الآخذة في التزايد، وبخاصة في السعودية، فالنقاد والباحثون يجهلون كثيرا من المنجز الأدبي الرقمي وذلك تقصير منهم بالتأكيد، ولعل بعض عزوف النقاد والباحثين عن مقاربة هذا الأدب راجع إلى عدم الاعتراف به وبنصوصه وكتابه، فالكاتب الرقمي لا يزال يعاني من التهميش والتجاهل والنظرة الدونية، فهو كاتب من الدرجة الثانية في نظر المشهد الثقافي التقليدي، الذي لا يعترف لكاتب أو به ما لم ينشر نصوصه في صحف ورقية أو كتب مطبوعة، ولذا نجد كتاب الإنترنت يتجهون للطباعة الورقية رغبة منهم في انتزاع الاعتراف الرسمي من الوسط الثقافي النمطي.

الهوامش

١ انظر: زهور كرام: الأدب الرقمي أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، القاهرة، رؤيا للنشر،٢٠١١م، وانظر أيضا: فاطمة البريكي:مدخل إلى الأدب التفاعلي، بيروت – الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦م.

٢ انظر: أماني أبو رحمة: الأدب الإليكتروني.. أدب الألفية الثالثة، ورقة علمية قدمت إلى ((الملتقى الثاني للنص الجديد: ما بعد قصيدة النثر)) الذي عقدته في القاهرة مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر من -٢٣- ٢٠ يوليو ٢٠١١ . ونص الورقة منشور عبر الرابط التالي :

http://www.adabfan.com/criticism/٨٢٧١.html

٣ سعيد يقطين: النص المترابط ، النص الإلكتروني في فضاء الإنترنت، دراسة منشورة في موقع جهة الشعر على الرابط التالي:

http://www.jehat.com/Jehaat/ar/AljehaAhkhamesa/saeed___yaqaten.htm

٤ السابق.

٥ فيليب بوتز : ما الأدب الرقمي؟ الفصل الأول، نشر مترجما في مجلة علامات المغربية ترجمة : محمد أسليم، ع. ٣٥، ٢٠١١، صص. ٢٠١-١١٣.

٦انظر :

Wilfred J. Hansen. Christina Haas: Reading and Writing with Computers: A Framework for Explaining Differences in Performance. May. ١٩٨٨

http://www.cs.cmu.edu/~wjh/papers/framework.html

٧ من نماذج ذلك كتاب (أيام في هوزهير) للكاتب السعودي: علاء القيسي، القاهرة، ٢٠١٢م، دار النهضة العربية بالتعاون مع دار أروقة.

٨ ميجان الرويلي، سعد البازعي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي،المغرب/لبنان،ط٤،٢٠٠٥، ص ٢١٣.

٩ مرجع سابق، انظر الهامش رقم ٦.

١٠ انظر: الأعمال الشعرية المرئية للشاعر محمد حبيبي : غواية المكان، حدقة تسرد، بصيرة الأمل، على هذا الرابط :

http://www.youtube.com/user/habibi١٣٦٦

١١ يمكن متابعة هذه الحسابات والوسوم عبر موقع تويتر. twitter.com

١٢ أحمد العلي: يجلس عاريا أمام سكايب، ٢٠١٣م، دار طوى للثقافة والنشر والإعلام.

١٣ رجاء الصانع: بنات الرياض، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٥م.